جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان - قسم التاريخ
أستاذ المادة: د/ سمير مزرعي السنة الثانية ليسانس

المحاضرة الثامنة: مصادر تاريخ الجزائر المعاصر "المخطوطات"

تمهيد:

تزخر الجزائر بعدد كبير من مراكز المخطوطات التي تنتشر عبر ربوع التراب الوطني مثل (الزوايا، المكتبات، الخزانات، المساجد، الكتاتيب القرآنية، المخطوطات الشخصية العائلية)، فهي تحتوي على كنوز معرفية حول تاريخ الجزائر منذ القرون الوسطى إلى الفترة المعاصرة، وتشمل شتى المعارف والفنون كالدين والفلسفة والتصوف والطب والفلك والزراعة والتاريخ وغيرها من العلوم العقلية والنقلية، ويمكننا أن نقسمها إلى مراكز رسمية ومراكز غير رسمية.

1- المراكز الرسمية:

1.1 مخطوطات المكتبة الوطنية الجزائرية:

بناء على ما ورد في موقع المكتبة الوطنية فإن عدد المخطوطات بالمكتبة يقدر بحوالي 5028 مخطوط حسب الإحصائيات الأخيرة، وهي تختلف عن الإحصائيات القديمة التي تشير إلى وجود حوالي 3868 مخطوط ومجلد، أغلبيتها خطت باللغة العربية والبعض منها باللغات التركية والفارسية، يوجد كذلك بالمكتبة حوالي 4401 مؤلف نادر بمصلحة المخطوطات والمؤلفات النادرة، و41057 كتاب نادر متواجد بمصلحة الرصيد المغاربي. جمعت مخطوطات المكتبة الوطنية من مختلف المساجد والزوايا عبر القطر الجزائري وكذا عبر شراء البعض منها كما تحصلت على البعض الاخر عن طريق الهدايا، وقد عمل المستشرقون والجزائريون عبر قرن ونصف من الزمن على إنجاز عدد من القوائم والفهارس للمخطوطات التي جلبت إلى المكتبة لتسهيل مهمة البحث على الباحثين.

2.1 مخطوطات جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية بقسنطينة:

يوجد بمكتبة جامعة الأمير عبد القادر حوالي 150 مخطوط في تمثل مختلف فنون المعرفة الانسانية، ومن بينها عدد معتبر من المخطوطات في: الفقه، والتوحيد، والعقيدة، والتصوف، والأدب، واللغة، والقرآن والحديث، والسيرة، والتاريخ، والطب والمنطق، وجل هذه المخطوطات هي هبات من عائلات العلماء والتي تم جلبها من مكتباتهم الخاصة.

3.1 مكتبة الدكتور أحمد عروة بقسنطينة:

تأسست المكتبة سنة 1993، وهي تابعة لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، وتأسس مخبرها المخطوطات الخاص بها سنة 2011، يبلغ عدد المخطوطات بها حوالي 1028 مخطوط، كلها تم الحصول عليها من المشايخ الجزائريين والمساجد والزوايا أمثال الشيخ محمد خير الدين، الشيخ نعيم النعيمي وغيرهم، ولقد انطلقت عملية فهرسة المخطوطات سنة 2012.

4.1 مخطوطات مكتبة جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية بأدرار:

وتتوفر على عدد من المخطوطات في بعض العلوم كالفقه، واللغة، والأدب والحساب، والعروض والجغرافية.

5.1 مكتبة ثانوية ابن زرجب بتلمسان:

تحتوي هذه المكتبة على حوالي 100 مخطوط.

6.1 مخطوطات مكتبة مفتشية الشؤون الدينية بباتنة (الأوراس):

توجد هذه المكتبة بوسط مدينة باتنة عاصمة الأوراس في بناية المديرية بشارع قرين بلقاسم، أنشئت هذه المكتبة عام 1977م، بعد إدماج التعليم الأصلي في التعليم العام، نقلت مقتنياتها إلى المديرية خوفا عليها من الضياع والاندثار، ثم وجه نداء الى العلماء وأبناء العلماء و الى رجال الزوايا ممن يحتفظون بالمخطوطات والكتب المطبوعة لإثراء المكتبة، فتجمع لدى المديرية عدد كبير من الكتب المطبوعة والمخطوطة وبعض الوثائق النادرة، ففي المكتبة اليوم حوالي ثلاثة آلاف مؤلفا، تمثل ثمانية عشر فنا من فنون العلم والمعرفة، فالمخطوطات التي تحتفظ بها المكتبة فقد آلت اليها عن طريق الإهداء، ويزيد عددها عن سبعين مخطوطا، يوجد ضمنها عشرة مجاميع، يحتوي كل مجموع منها على عدد من الكتب، وبعض المخطوطات في حالة جيدة وبعضها الآخر في حالة متوسطة أو رديئة، وذلك لتأثرها بعوامل الرطوبة والأرضة، وهي تعالج موضوعات في الفقه وأصول الفقه والتوحيد والعبادات، والحديث، وعلوم القرآن وعلوم العربية، والفلك، وعلم الكلام والمنطق.

كما توجد بها بعض أعمال ملتقيات الفكر الإسلامي المطبوعة الذي يعقد سنويا في الجزائر، وكذلك الأعداد التي صدرت من مجلة الأصالة، ومطبوعات في علوم شتى ألفها الأساتذة الأزهريون الذين كانوا يدرسون في المعهد الاسلامي بباتنة في السنوات الأولى من الاستقلال، وهي من المراجع النادرة.

2- المراكز الأهلية (الخاصة):

1.2 مخطوطات مكتبات أدرار (توات، وقرارة، تدكلت):

تعتبر أدرار من أغنى المناطق في الجزائر التي تحتوي على عدد معتبر من المخطوطات، وكان الأستاذ مبروك مقدم قد أعد بحثا عن هذه المخطوطات موسوم بـ "**المخطوطات داخل الخزانات الشعبية خلال نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بتوات وقرارة وتدكلت**"، ولقد ركز فيه على ذكر النشاط العلمي للكتاتيب وحركة الاستنساخ التي عرفتها المنطقة، وكذا مختلف العلماء الذي برزوا منها ومؤلفاتهم، وركز على أهم المراكز التي تحتفظ بالمخطوطات وهي:

- **مركز توات:** وبه 12 مكتبة ومن أشهرها: مكتبة كوسام، مكتبة بني تامر، مكتبة وجلان، مكتبة سيدي حيدة.
- **مركز تنجرين:** وأغلب مخطوطاته في الطب والفلك ومن خزاناته: خزانة المطارفة، خزانة اقسطن، خزانة أولاد عيسى، خزانة تنركوك.
- **مركز تدكلت:** وأهم مكتباته: مكتبة أقبلي الزاوية وتضم 63 مخطوطا، مكتبة المنصور، مكتبة ساهل القديم، وتحتوي على 218 مخطوطا.

2.2 خزانة الشيخ سيدي عبد الرحمن الزجلاوي:

تقع خزانة الشيخ سيدي عبد الرحمن الزجلاوي في قصبة المرابطين ببلدية أنزجمير دائرة زاوية كنتة وتبعد عن مقر ولاية أدرار بحولي 90 كم، تحتوي هذه الخزانة على حوالي 400 مخطوط في مجلات مختلفة مثل: الفقه، التفسير، الحديث، القرآن، الشعر، التاريخ، السيرة، الأدب التصوف، الفلك ... إلخ.

3.2 خزانة ملوكة:

تقع الخزانة في قصر ملوك التابع لبلدية تيمي ولاية أدرار، تبعد عن مقر الولاية بحوالي 5 كم تأسست هذه الخزانة خلال القرن الثاني عشر للهجرة على يد الشيخ محمد بن عبد الرحمن البلبالي، توجد بهذه الخزانة العديد من المخطوطات القيمة والتي يفوق الثلاثمائة مخطوط مختلفة المواضيع، وبعد وفاته تولى أبناؤه وأحفاده الإشراف عليها، أما حالياً يتولى الإشراف على الخزانة السيد محمد بن البكري، وتوجد بهذه الخزانة مخطوطات في عدة مواضيع تشمل: أصول الفقه القضاء، النوازل، علوم البلاغة، الفلك، الحديث، الطب، التاريخ، الرحلات..... إلخ.

4.2 خزانة كوسام:

تقع الخزانة داخل قصر كوسام ببلدية تيمي التي تبعد عن مقر ولاية أدرار بحوالي 5 كم، مع نهاية القرن 13 هـ سطع نجم كوسام وأصبحت مركز إشعاع علمي وحضاري، ويرجع الفضل في هذه المكانة التي تبوأتها كوسام في تلك الفترة إلى أحد الأعلام البلباليين البارزين وهو العلامة "السيد عبد الله بن احمد الحبيب البلبالي" الذي ولد بملوكة عام 1250هـ، وإليه يرجع الفضل في تأسيس "المدرسة الكوسامية" في شهر ربيع الثاني عام 1278هـ.

تحتوي مكتبتها على عدد هائل من المخطوطات، إلا أن العدد المنسوخ الذي يمكن الاطلاع عليه هو 170 مخطوط في مختلف التخصصات، وقد بلغت عدد المخطوطات المعادة للنسخ حوالي 200 مخطوط في أفريل من سنة 2009، إلا أن معظم المخطوطات بالخزانة مصابة إن لم تكن كلها في حالة جد خطيرة تحتاج إلى عمليات الصيانة والترميم الاستعجاليتين، حيث أثرت فيها العوامل الطبيعية القاسية كالحرارة والرياح إضافة إلى القوارض والحشرات، وعلى العموم فان حال خزانة كوسام يعكس الصورة الحقيقية لمخطوطات الخزائن الأخرى من حيث الحالة المادية والهيكل العام للخزانة.

5.2 زاوية الهامل:

تتواجد زاوية الهامل بقرية الهامل التي لا تبعد عن مدينة بوسعادة ولاية المسيلة بضع كيلومترات، شرع الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي في سنة 1279هـ/1862م في بناء زاويته بقرية الهامل، وأتمها في أول محرم 1280هـ/ 18جويلية 1863م.

تتضمن هذه الزاوية المخطوطات والمطبوعات النادرة، وتتضمن أيضا وثائق تاريخية سياسية وإدارية باللغتين العربية والفرنسية، تعود بعضها إلى عصور وحقب تاريخية مختلفة، ومن بين هذه الوثائق نجد مثلا:

- مراسلات مع الأمير عبد القادر من دمشق.

- رسائل الشيخ مكي بن عزوز مفتي الأستانة بتركيا، ومجموعة من الوثائق الأخرى تصل إلى حدود ستين وثيقة، هي عبارة عن رسائل من آل أبي داوود وزاويته بـ "أقبو" بمنطقة زواوة بالقائل، وعدد مماثل من هذه الوثائق من الزوايا الرحمانية الأخرى عبر القطر الجزائري.

- رسائل من القيادة والسلطات والشخصيات الفرنسية، وهي في أغلبها إدارية.

- رسائل تقارب المائة من تركيا، تونس، الحجاز، الجزائر وهي في أغلبها إخوانية، ثم تأتي الرسائل ذات الطابع الرسمي كالإجازات والفتاوى وما إلى ذلك.

6.2 مكتبة زاوية الشيخ الحسين:

تقع هذه الزاوية ببلدية سيدي خليفة ولاية ميله: لقد حاول الدكتور عبد الكريم عوفي فهرسة مخطوطات هذه الزاوية، فقد أفادنا بوجود 400 مخطوطة، منها 256 مفردة، وحوالي 141 ضمن المجاميع، أما المجالات المعرفية التي تمثلها المخطوطات الموصوفة، فهي: الفقه وأصوله، وعلوم اللغة، والتوحيد والعقائد، والحديث، والأدب، والسيرة، والتراجم وعلوم القرآن، والمنطق، والطب، والفلك، وفي دراسة حديثة أجريت سنة 2014 فإنها قد كشفت بأن الزاوية كانت تحتوي على حوالي 6000 مخطوط، إلا أن غالبتها ضاع منها أو أحرق، بالإضافة إلى نقص الاهتمام ما أدى إلى تلف الكثير منها، وما بقي فيمكن حصره في 400 مخطوط، منها 128 مخطوط في الفقه وأصوله، و64 مخطوط في علوم اللغة و11 فب علوم المنطق، و9 في علوم الطب، و6 في علوم الفلك، بالإضافة إلى مخطوطات أخرى في مختلف المجالات والعلوم الأخرى.

7.2 زاوية قمار التيجانية:

عرفت الطريقة التيجانية انتشارا واسعا في ولاية الوادي وما جاورها، ويعود تأسيس الزاوية التيجانية بـ "قمار" إلى سنة 1204هـ/1798م على يد مقدم الطريقة "محمد الساسي القماري" بتزكية من مؤسس الطريقة "سيدي أحمد التيجاني"، فقد عرفت ازدهارا علميا كبيرا في شتى المجالات، وأصبحت مدرسة علمية يتوافد عليها الطلبة، ونسخت بها المؤلفات القادمة من منطقة الجريد التونسية، وعرفت تفاعلا ثقافيا وتبادلا علميا بين حواضر تونس مما أثرى الزاوية بمختلف المخطوطات، والتي وصل عددها إلى 8 آلاف مخطوط في عهد المقدم محمد الساسي، إلا أن بعد وفاته ضاع الكثير ووزعت بين الأسر المرابطة في المنطقة، فمنها ما حفظ لدى العائلات المتفقة التي تعرف وتقدر قيمة المخطوط، أما المخطوطات التي لا تزال محفوظة في خزانة الزاوية فهي لا تتجاوز 600 مخطوط فقط.

8.2 زاوية تماسين التيجانية:

تأسست زاوية تماسين سنة 1803م بمنطقة تماسين التابعة حاليا لولاية ورقلة، عرفت الزاوية عبر تاريخها المشرف بالعلم والإصلاح والتربية فكانت رابطة وصل بين الجزائر وتونس من خلال تبادل الرحلات العلمية ونشر الطريقة بالجنوب الغربي لتونس و التي أثمرت بتواصل صوفي علمي ثقافي متنوع، وتتواجد بالخزانة العامة لزاوية تماسين العديد من المخطوطات في شتى العلوم و المجالات، وكذا التقارير المدنية والعسكرية التي كانت ترسل من خلفاء الطريقة إلى الحكام الفرنسيين، ونفس الأمر بالنسبة للرسائل التي كان يتم تبادلها بين فرع تماسين مع الفروع الأخرى داخل الجزائر وخارجها، وخاصة بتونس و المغرب و السودان الغربي.